

شبهة تحريف القرآن الكريم و نفيها عند الشريف المرتضى

أ.د. عدي جواد الحجار

جامعة الكوفة / مركز دراسات الكوفة

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين كما هو أهله وصلى الله على رسوله الأمين المبعوث رحمة للعالمين
أبي القاسم محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

لقد أنزل الله عز وجل القرآن الكريم هداية للناس وتكفله بالحفظ والرعاية والصيانة
من الزيادة والنقصان والتحريف بغية أن يحقق هذا القرآن أهدافه التي أنزله الله تعالى
من أجلها ، وقد أجمع المسلمون - إلا من شذ منهم - على سلامة القرآن من التحريف
على اختلاف مذاهبهم . واتفقوا على حصول التحريف المعنوي الذي حذر من حصوله
الإمام فيما رواه الكافي بإسناده عن الباقر عليه السلام أنه كتب في رسالته إلى سعد
الخيزر: (وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده ، فهم يروونه ولا
يرعونوه ، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية ، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية) ^(١).

وقد اختلفوا في حصول التحريف اللفظي فغالبية المسلمين على القول بعدم التحريف
إلا الحشوية من العامة وبعض الأخبارية من الخاصة ، وإن بعض فرق المسلمين جعلت
من شبهة تحريف القرآن الكريم تهمة ترمي بها الفرقة الأخرى ومن وقع عليهم الزور
والبهتان في القول بالتحريف الشيعة الإمامية.

وقد انبرى علماء الإمامية منذ زمن شيخ المحدثين أبي جعفر محمد بن الحسين
الصدوق (ت ٣٨١هـ) الى يومنا هذا لدفع هذه التهمة التي تثار بين الفينة والأخرى لإيقاع
الفتنة بين المسلمين ؛ وكان ممن تصدى لنفي شبهة تحريف القرآن الكريم مجدد الدين
على رأس المئة الرابعة للهجرة السيد الشريف المرتضى (قدس سره ت ٤٣٦هـ) فكانت
له مقالة في هذا المقام نقلت عنه في كتاب مجمع البيان للشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) .

الكلام في شبهة التحريف:

لقد اتخذت مسألة القول في تحريف القرآن الكريم بين فرق المسلمين منحا يفتقر إلى
الموضوعية والواقعية بحيث جعلت سبيلا لتيهم كل خصم خصمه ويصمه بالقول

بتحريف كتاب الله العزيز الذي تعهده بالحفظ قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ^(٢) .

والحق أن هناك من المسلمين من ذهب إلى وقوع التحريف المعنوي في القرآن الكريم و (يطلق لفظ التحريف ويراد منه عدة معان على سبيل الاشتراك ، فبعض منها واقع في القرآن باتفاق من المسلمين ، كما في نقل الشئ عن موضعه وتحويله إلى غيره ومنه قوله تعالى : (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) ^(٣) . ولا خلاف بين المسلمين في وقوع مثل هذا التحريف في كتاب الله فإن كل من فسر القرآن بغير حقيقته ، وحمله على غير معناه فقد حرفه . وبالإمكان رؤية الكثير من أهل البدع ، والمذاهب الفاسدة أنهم قد حرفوا القرآن بتأويلهم لآياته على وفق آرائهم وأهوائهم . وقد ورد المنع عن التحريف بهذا المعنى ، وذم فاعله في عدة من الروايات منها : رواية الكافي بإسناده عن الباقر عليه السلام أنه كتب في رسالته إلى سعد الخير : (وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده ، فهم يروونه ولا يرعونه ، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية ، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية ^(٤) . . .) ^(٥) .

وهناك من المسلمين من قال بوقوع التحريف اللفظي في القرآن حين ادعوا الزيادة والنقصان والتبديل ومن قالوا بذلك هم الحشوية من العامة وبعض الأخبارية من الخاصة .

موقف الشيعة من شبهة التحريف:

وقد واجه أصحاب هذا الرأي معارضة شديدة من علماء المسلمين عامة ومن علماء اتباع أهل البيت خاصة إذ تعرض علماء الشيعة منذ القرن الرابع الهجري إلى يومنا الحاضر ^(٦) لموضوع نفي التحريف في كتبهم الاعتقادية والحديثية والفقهية وكتب أصول الفقه والتفسير

وهم في جميع هذه المصنفات ينصون على عدم نقصان القرآن الكريم ، وفيهم من يصرح بأن

من نسب إلى الشيعة أنهم يقولون بأن القرآن أكثر من هذا الموجود بين الدفتين فهو كاذب ، وفيهم من يقول بأن عليه إجماع علماء الشيعة بل المسلمين ، وعلى الجملة ، فإن الشيعة الإمامية تعتقد بعدم تحريف القرآن ، وأن الكتاب الموجود بين أيدينا هو جميع ما أنزله الله عز وجل على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم من دون أي زيادة أو نقصان . هذه عقيدة الشيعة في ماضيهم وحاضرهم ، كما جاء التصريح به في كلمات كبار علمائها ومشاهير مؤلفيها ، منذ أكثر من ألف عام حتى العصر الأخير^(٧) .

رأي الشريف المرتضى في الشبهة

من هؤلاء العلماء مجدد الدين عند الإمامية على رأس المئة الرابعة للهجرة^(٨) السيد الشريف المرتضى الذي تصدى للقائلين بالتحريف بعد أن أسس قاعدته الحديثية الرصينة التي أثبت فيها عدم حجية الخبر الواحد إذ أن بعض الأخبار التي يتكئ عليها الحشوية وبعض الأخبارية من القائلين بوقوع التحريف هي أخبار آحاد في أحسن أحوالها ما لم تكن ضعيفة أو موضوعة وهي بهذا الوصف لا تفيد علماً ولا عملاً وقد نقل الطبرسي عن الشريف المرتضى قوله:

صحة نقل القرآن عند المرتضى

(إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار ، والوقائع العظام والكتب المشهورة ، وأشعار العرب المسطورة)^(٩)

يصدر المرتضى كلامه بالتأكيد ب(إن) على حصول العلم بصحة النقل المبني على الخبر الذي يوجب العلم وهو ما كان مستنداً إلى مشاهدة وإدراك لأن الخبر الذي لا يستند إلى المشاهدة والإدراك لا يوجب العلم^(١٠) لذا مثل له بالعلم بالبلدان والوقائع والكتب والأشعار - ما كان منها مهماً - وقد استدلل الشريف المرتضى بما يتوصل له بالعلم بالحواس دون العلم بالنظر العقلي وهو ما شبه به في قوله (كالعلم بالبلدان....) لحصول العلم بنقل القرآن ليخلص الى الحكم بتواتر النقل للقرآن الكريم وإن لم يصرح بهذا المصطلح الحديثي لأن التواتر يفيد (العلم) الذي قدم به المرتضى في مستهل كلامه كما أنه قسم القائلين بالتواتر على ضربين في رسائله

أحدهما: من يذهب إلى أن الخبر المتواتر فعلَ الله تعالى عنده للسامعين العلم الضروري بمخبره، فإذا وجد نفسه عليه علم أن صفة المخبرين له صفة المتواترين ، فعندهم أن حصول العلم بصفة المخبرين

والآخر: من يذهب إلى أن العلم بمخبره مكتسب و الطريق إلى العلم بصفة المخبرين هو العادة ، لأن العادة قد فرقت بين الجماعة التي يجوز عليها أن يتفق منها الكذب من غير تواطؤ وما يقوم مقامه ، وبين من لا يجوز ذلك عليه . و فرقت أيضا بين من لا يجوز عليه ، و بين من إذا وقع منه التواطى جاز أن ينكتم ، وبين من لا يجوز انكتم تطاطى ، وأي عجب واستبعاد لأن يكون أحدا يلقى بنفسه ويسمع الخبر ممن هو على صفة المتواترين . أوليس كل واحد منا يسمع الأخبار ممن يخبره عن عمان وسجستان والبلدان التي ما شاهدها ، فيعلم صدقهم إذا علم أن العادة لم تجئ في مثل من خبره عن ذلك بالكذب ، لعدم جواز اتفاق الكذب والتواطؤ ، وهل العلم بالوقائع والحوادث الكبار في عصرنا مستفاد إلا ممن يخبرنا مشافهة عن هذه الأمور^(١١).

وبما أن القرآن الكريم قد نقل إلينا بالتواتر بدليل الإجماع ؛ وأن القاعدة الحديثة تفيد أن الخبر المتواتر المستند على المشاهدة والإدراك يفيد علما ، فمن هاتين المقدمتين نخلص إلى أن العلم حاصل بصحة نقل القرآن الكريم إلينا من دون زيادة أو نقصان وهي تجري مجرى العادة في العلم بالوقائع والحوادث الكبار ، وهل من حادثة أو واقعة أكبر من نزول القرآن .

فيكون السيد المرتضى قد أسس لكلامه على قاعدة حديثة متسالم عليها بين أهل العلم في هذا الفن؛ وهي: (أن حصول العلم بصحة النقل المبني على الخبر الذي يوجب العلم وهو ما كان مستندا إلى مشاهدة وإدراك لأن الخبر الذي لا يستند إلى المشاهدة والإدراك لا يوجب العلم)^(١٢) فلم يكن كلامه ضربا من ضروب البلاغة والبديع والأدب وإنما هو من دقائق علم الحديث التي ابتدعها الشريف المرتضى وجلّاه تلميذه الشيخ الطوسي بهذا البيان الواضح.

العناية في حفظ القرآن عند المرتضى:

قال المرتضى: (فإنَّ العناية اشتدَّت والدواعي توفَّرت على نقله وحراسته ، وبلغت إلى حدٍّ لم يبلغه في ما ذكرناه) ^(١٣)

ولعل الشريف المرتضى يشير الى جهود من سبقه من العلماء الذين أفرغوا الوسع وبذلوا الجهد في العناية بالقرآن الكريم لفظاً وتدويناً، ففي عصره كانت القراءات القرآنية قد استقرت على وجه متعارف عليه وصيغة متفق عليها وشروطٍ يجب توافرها أو توافر بعضها على أقل تقدير حتى يؤخذ بالقراءة التي توصف بأنها (علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة والمقرء العالم بها رواها مشافهة فلو حفظ التيسير مثلاً ليس له أن يقرء بما فيه إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلاً لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسمع والمشافهة

والقارء المبتدئ من شرع في الأفراد إلى أن يفرد ثلاثاً من القراءات والمنتهي من نقل من القراءات أكثرها وأشهرها) ^(١٤)

ومن شديد العناية في نقله أن جعلوا التواتر وصحة سند رواية القراءة وموافقة القراءة للعربية وموافقتها للمصحف الإمام -وأضاف بعضهم شرط الإجماع - معايير وضوابط للأخذ بالقراءة ^(١٥)

وقد قصرت القراءات على سبع أو عشر أو أربع عشرة قراءة

كذلك شملت العناية القراء أيضاً فكانت القراءة تؤخذ ممن توافر على صفات بعينها جاء الطبرسي على ذكرها بما نقله بقوله: (وإنما اجتمع الناس على قراءة هؤلاء ، واقتدوا بهم فيها لسببين . أحدهما : إنهم تجردوا لقراءة القرآن ، واشتدت بذلك عنايتهم مع كثرة علمهم ، ومن كان قبلهم ، أو في أزمنتهم ، ممن نسب إليه القراءة من العلماء ، وعدت قراءتهم في الشواذ . لم يتجرد لذلك تجردهم ، وكان الغالب على أولئك الفقه ، أو الحديث ، أو غير ذلك من العلوم . والآخر : إن قراءتهم وجدت مسندة لفظاً ، أو سماعاً ، حرفاً حرفاً ، من أول القرآن إلى آخره ، مع ما عرف من فضائلهم ، وكثرة علمهم بوجوه القرآن) ^(١٦)

عدا من ألف وصنف في هذا المضممار امثال ابو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) وابو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ) والمبرد (ت ٢٨٦هـ) وكان اشهرهم في هذا الفن مسبع القراءات ابن مجاهد التميمي البغدادي (ت ٣٢٤هـ)

فكانت العناية التي أشار اليها الشريف المرتضى عناية عظيمة لا يحتمل معها حدوث تحريف أو نقص في كتاب الله العزيز.

دواعي حفظ القرآن عند المرتضى

وإلى جانب العناية هناك الدواعي التي توفرت لنقله وحراسته، منها ما كان استجابة لظروف طارئة على ساحة المسلمين التي ربما تكون قد انعكست على النص القرآني الكريم ويمكن للباحث أن يعرض لبعض منها على سبيل المثال لا الحصر بما يسمح به المقام على النحو الآتي:

الدواعي الموضوعية:

ونقصد بها تلك التحولات والتشكلات التي أسهمت في رسم حدود قيم المجتمع الإسلامي اللغوية والثقافية والبيئية لفترة ما بعد البعثة النبوية الشريفة وارتدادات تلك التحولات التي تتضح بشكل جلي في جوانب:

أ- اللغة: كما هو معلوم أن مادة القرآن الكريم المعجز هي اللغة ومجموع مقوماتها النحوية والصرفية والبلاغية ومآلاتها الدلالية؛ وبهيئتها القرآنية تحدى الله عز وجل العرب أن يأتوا بمثل سورة من سوره الكريمة . وإن أهل هذه اللغة بدأوا بالاستجابة للمؤثرات الطارئة على المجتمع العربي المسلم لأسباب منها الاختلاط مع القوميات الأخرى بفعل دخول تلك القوميات في الدين الجديد وانتقالهم إلى حواضر الدولة الإسلامية (مكة والمدينة) من جانب والمصاهرة النسبية والثقافية التي حصلت بين العرب وغير العرب بفعل الفتوحات من جانب آخر ؛ لهذه الأسباب وغيرها بدأت الذائقة اللغوية العربية السليمة بالتشوه، لذا قام الإمام علي (ع) بالتوجيه إلى وضع قواعد للنحو تحفظ اللغة من خلال ما أشار به الإمام علي أبي الأسود الدؤولي^(١٧)

لذا تكون الحاجة قد دعت الى نشوء علوم اللغة في كنف القرآن الكريم، بعد شيوع

اللحن على ألسنة بعض قراء القرآن الكريم، فضلاً عن الأجnas التي دخلت الإسلام، فكان لابد من توظيف أسس و قوانين تضبط اللسان، وتصون قراءة القرآن، باعتبار أن (النحو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرهما) (١٨).

ولما كان القرآن الكريم قد نزل على ألسنة العرب العرباء وارتبط فهمه بفهم ما ينحوه العربي بكلامه فكان لا بد من التصدى للمؤثر الذي يطراً على اللغة ولذلك نرى المفسرين يستشهدون كثيراً بأقوال أعلام النحاة كما أن كثيراً من المفسرين اهتموا ببيان الحجة في القراءات كأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، وآخرون عنوا بأواخر الكلم في الشكل الإعرابي في علاماته المختلفة في حالات الرفع والنصب، والجر والجزم. بل إن بعض النحاة قد فسر القرآن من وجهة نحوية كالقراء (ت ٢٠٧هـ) في معاني القرآن والزجاج (ت ٣١٠هـ) في معاني القرآن أيضاً، وأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) في إعراب القرآن وغيرهم من النحويين، فأفرغوا وسعهم في ذلك الباب من حيث ما يتعلق باللغة، وذلك وإن كان منقوصاً من نواح أخرى إلا أنه على قدر من الأهمية من حيث استظهار المعنى من التراكيب اللغوية. فالحاجة إلى اللغة في التفسير ضرورة عندما لا نجد ما يفسر لنا القرآن (١٩).

فيكون ما أسس من قواعد للغة في مجال النحو والصرف والبلاغة والبيان والبديع الغاية منها صيانة القرآن الكريم من التأثيرات الطارئة أولاً وبالذات وهذه من الدواعي المهمة التي أشار إليها الشريف المرتضى

ب- الثقافة:

الثقافة إذا أضيفت إلى المسلمين تنتج عنها مصطلحاً أو تعبيراً يستعمل في أغلب الأحيان لوصف جميع المظاهر الثقافية والحضارية الشائعة والمرتبطة تاريخياً بالمسلمين في جميع أنحاء العالم. ومن أهم اطلاقات الثقافة الإسلامية أنها العلم الذي يجمع بين التأصيل الشرعي والوعي الواقعي بتاريخ الأمة وحاضرها ومستقبلها أي أنها علم معياري وواقعي في آن واحد وهي علم كلي شمولي ينظر للإسلام بشموليته من حيث عقيدته

ومقاصده وفهمه على مر التاريخ . وبما أن دين الإسلام انبثق في القرن السادس الميلادي في بلاد العرب، ومع الانتشار الهائل والسريع للإمبراطوريات الإسلامية، فإن الثقافة الإسلامية قد أثرت وتأثرت بغيرها من الثقافات والحضارات مثل ثقافات بلاد فارس (إيران حالياً)، و تركيا، و البربر، و المالاي، و الهند و أندونيسيا وغيرها من الأمم والحضارات التي دخلها الإسلام^(٢٠).

وقد مرت الثقافة الإسلامية بأطوار ومراحل تنقلت خلالها من ثقافة التلقي والنص والامثال في العصر الأول للبعثة النبوية الشريفة مروراً بثقافة تقديس الصحابة والسلف الصالح وصولاً إلى ثقافة التمذهب والاجتهاد التي بدأت في القرن الثاني الهجري ، والذي كان خصباً بالآراء الإعتقادية والفرق الكلامية التي تشكلت فكرياً على خلفية المذاهب الفقهية التي بدأت إرهاصات التأسيس لها في النصف الأول من هذا القرن داخل المنظومة الفكرية الإسلامية، ويمكن القول بأن آراء هذه الفرق الكلامية هي قراءة فلسفية تحليلية للعقائد والأصول التي يدين بها الإنسان المسلم، الغاية منها التأصيل لذلك الاعتقاد ويمكن أن نفرّق بين مصطلح المذهب ومصطلح الفرقة، وهو أن المذهب مجموعة قواعد منهجية توظف لاستنباط الأحكام العملية من المصادر التشريعية (القرآن والسنة والإجماع وبقية مصادر التشريع)، بينما الفرقة هي مجموعة الأفكار والعقائد والتصورات والمقولات التي تخص العقيدة، وتضع المفاهيم ذات الصلة بالإيمان وهو ما يسمى "علم الكلام". لقد كان القرن الثاني زمناً لظهور فرق الشيعة والمعتزلة والأشاعرة كفرق عقائدية رئيسة، وهو ذاته زمن ظهور المذاهب الفقهية كمذهب الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) (ت ١٤٨هـ)، وأبي حنيفة (١٥٠هـ)، ومذهب مالك بن أنس (ت ١٧٨هـ)، والشافعي (٢٠٤هـ)، ثم ظهر مذهب أحمد بن حنبل في القرن الثالث الهجري (ت ٢٤١هـ)، وهو آخر المذاهب الفقهية من حيث التسلسل التاريخي. وفي هذه الفترة بدأ تأثير الثقافات الوافدة جلياً على الفكر الإسلامي وفيها تعاظم نشاط الترجمة فترجمت المعارف اليونانية إلى العربية، وتبعه انتشار واسع للعلوم وتبعاً لذلك

فقد نشطت حركة التأليف والترجمة وكثرت المناظرات في أصول العقيدة، وفي الفروع الفقهية، وتم تصنيف المصادر المهمة والأساسية في العلوم الدينية . وكان القرآن الكريم هو المتكأ الذي يلجأ اليه أهل كل فرقة ومذهب لإثبات صحة اعتقادهم وصواب مذهبهم ؛ فكان ذلك مدعاةً لحضور القرآن الكريم في ساحة الاستدلال والبرهان عند كل المسلمين وكان النص القرآني هو وسيلة الإثبات والنفي ؛ فكان ذلك من الدواعي التي جعلت القرآن الكريم أصلاً ثابتاً في فكر وسلوك المسلمين واتجاهاتهم مما نتج عنه حرصهم الشديد على إبعاده عن عوامل التغيير الثقافي الناشئ من التأثير بالثقافات الوافدة بفعل حركة النقل والترجمة ؛ فكان من حرصهم أن نقلوه نقلاً صحيحاً وقاموا على حراسته من العبث والتحريف وإلى تلك النكته يشير الشريف المرتضى بقوله: (والدواعي توفرت على نقله وحراسته ، وبلغت إلى حدّ لم يبلغه في ما ذكرناه)^(٢١)

أسباب صحة النقل ودواعي الحفظ

كما هو معلوم أن طريق التصديق بالنبوة والإيمان بها، ينحصر بالمعجز الذي يقيمه النبي شاهداً لدعواه، ولما كانت الشريعة خالدة ، فلا بد أن تكون المعجزة التي تشهد بصدقها خالدة أيضاً ، لان المعجزة إذا كانت محدودة قصيرة الأمد لم يشاهدها البعيد ، وقد تنقطع أخبارها المتواترة ، فلا يمكن لهذا البعيد أن يحصل له العلم بصدق تلك النبوة ، وهكذا أنزل الله القرآن معجزة خالدة ليكون برهاناً على صدق الرسالة الخالدة ، وليكون حجة على الخلف كما كان حجة على السلف^(٢٢)

فإن من كانت هذه وظيفته وقد اشتمل على كل الأحكام التكليفية والوضعية وهو مدار الاعتقاد عند المسلمين (لأن القرآن معجزة النبوة ، ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية ، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية ، حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته ، فكيف يجوز أن يكون مغيراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد)^(٢٣). وقد دلل الشريف المرتضى على سلامة القرآن من التحريف بالدليل العقلي والوجداني وأثبت أن ما هو أقل شأنًا من القرآن

قد تسألت الناس على وجوده من دون شبهة في التغيير . فكيف ينسب التغيير إلى من تعاهده المسلمون عامة والعلماء خاصة بالرعاية والمدارة

وقال : (إن العلم بتفصيل القرآن وأبعاضه في صحّة نقله كالعلم بجملته ، وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنّفة ككتّابي سيبويه والمزني ، فإنّ أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها ما يعلمونه من جملتها ، حتى لو أنّ مدخلاً أدخل في كتاب سيبويه باباً في النحو ليس من الكتاب لعرف وميز ، وعلم أنّه ملحق وليس في أصل الكتاب ، وكذلك القول في كتاب المزني ، ومعلوم أنّ العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء) (٢٤) .

وقال : (إنّ القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن) (٢٥) .

واستدلّ على ذلك بأنّ القرآن كان يدرّس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان ، حتى عيّن على جماعة من الصحابة في حفظهم له ، وأنّه كان يعرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلّم ويتلى عليه ، وأنّ جماعة من الصحابة مثل عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي صلى الله عليه وآله وسلّم ختمات عدّة . كل ذلك يدلّ بأدنى تأمل على أنّه كان مجموعاً مرتّباً غير مبتور ولا مبتوت . وذكر أنّ من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتدّ بخلافهم ، فإنّ الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث ، نقلوا أخباراً ضعيفة ظنّوا صحّتها ، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحّته .

ولقد عرف هذا الرأي واشتهر عن الشريف المرتضى حتى ذكر ذلك عنه كبار علماء أهل السنّة ، وأضافوا أنّه كان يكفّر من قال بتحريف القرآن ، فقد نقل ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) عن ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) قوله فيه : (كان من كبار المعتزلة الدعاة ، وكان إمامياً ، لكنّه يكفّر من زعم أنّ القرآن بدّل أو زيد فيه ، أو نقص منه) (٢٦) .

ويقول الشيخ محمد بن الحسن أبو جعفر الطوسي ، في مقدّمة تفسيره وهو تلميذ الشريف المرتضى وعلى مذهبه : (والمقصود من هذا الكتاب علم معانيه وفنون أغراضه ، وأمّا

الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق به أيضاً ، لأنّ الزيادة فيه مجمع على بطلانها ، والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه ، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا ، وهو الذي نصره المرتضى - رحمة الله تعالى - وهو الظاهر من الروايات .

غير أنه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة والعامة بنقصان كثير من آي القرآن ، ونقل شيء منه من موضع إلى موضع ، طريقها الآحاد التي لا توجب علماً ولا عملاً ، والأولى الإعراض عنها وترك التشاغل بها لأنّه يمكن تأويلها ، ولو صحّت لما كان ذلك طعنًا على ما هو موجود بين الدفتين ، فإنّ ذلك معلوم صحّته لا يعترضه أحد من الامة ولا يدفعه (٢٧) .

خاتمة البحث ونتائجه:-

وفي نهاية البحث نجد أن الشريف المرتضى يتصدى للقول برد شبهة التحريف بعد أن أسس قاعدته الحديثية الرصينة التي أثبت فيها عدم حجية الخبر الواحد لعدم إفادته العلم؛ لأن صحة النقل المبني على الخبر الذي يوجب العلم هو ما كان مستنداً إلى مشاهدة وإدراك لأن الخبر الذي لا يستند إلى المشاهدة والإدراك لا يوجب العلم (٢٨)

وبذا يكون مستند القائلين بوقوع التحريف في القرآن الكريم الذي ورد في بعض الأخبار التي يتكئ عليها الحشوية من العامة وبعض الأخبارية من الخاصة هي أخبار آحاد في أحسن أحوالها ما لم تكن ضعيفة أو موضوعة وهي بهذا الوصف لا تفيد علماً ولا عملاً ؛ وجعل مدار العلم بسلامة القرآن الكريم الخبر المتواتر الذي يفيد علماً وعملاً ؛ ويجد المتبع أن الجهد المعرفي المبني على الموضوعية في البحث والدقة في الاستدلال الذي بذله الشريف المرتضى ؛ والذي اسس له نخبة منيفة من أساطين العلم من علماء مذهب أهل البيت (ع) منهم الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) والشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) قد افضى الى المساهمة الفعالة والمنتجة في حفظ قداسة ساحة القرآن الكريم من عبث العابثين وتجاوز المبطلين الذين جعلوا من كلام الله العزيز وسيلة للوصول الى غايات باطلة او إثبات آراء فاسدة هدفها الطعن في مذهب معين بعد نسبة آراء زائفة أو تهويل أقوال ضعيفة الى ذلك المذهب. ومما توصل اليه البحث من نتائج:-

- ١- يرجح أن يكون السبب في ظهور دعوى التحريف سببا روائيا وظف لأغراض خلافية مذهبية.
 - ٢- حصول انتقال معرفية في علوم الحديث الشريف في عصر الشريف المرتضى وما قبله عند الشيخ الصدوق والشيخ المفيد تجسدت في التقعيد والتأسيس لعلوم الحديث بعد مرحلة الجمع الحديثي في المدونات الحديثية.
 - ٣- عمل الشريف المرتضى على التأسيس لقاعدة حديثية مفادها (خبر الواحد لا يفيد علماً ولا عملاً) لإبعاد تأثيره السلبي عن ساحة وقدسية النص القرآني الكريم.
 - ٤- استخدم الشريف المرتضى الحجة والبرهان العقليين وسيلة وطريقة للإثبات والتدليل على صحة ما يذهب إليه دون الاعتماد على الدليل أنقلي لإمكان وقوع الخلاف فيه.
 - ٥- أن القرآن الكريم قد نقل إلينا بالتواتر بدليل الإجماع ؛ وأن الخبر المتواتر المستند على المشاهدة والإدراك يفيد علماً ، فنخلص إلى أن العلم حاصل بصحة نقل القرآن الكريم إلينا من دون زيادة أو نقصان وهو يجري مجرى العادة في العلم بالوقائع والحوادث الكبار.
 - ٦- كان للحراك الثقافي والفكري الناتج عن حركة الترجمة العلمية والثقافات الوافدة على الفكر الإسلامي الأثر الواضح على طبيعة الجدل الكلامي الدائر بين علماء الكلام المسلمين والذي كان القول بشبهة التحريف إحدى صوره .
 - ٧- أثبت الشريف المرتضى أن سلامة القرآن من التحريف حقيقة واقعة يعتقدها جميع المسلمين ولا عبرة بمن خالف ذلك كونهم أقلية لا يعتد برأيهم.
- هذه خاتمة البحث وأهم نتائجه

الهوامش:

- (١) الكافي - الكليني: ٥٣/٨.
- (٢) سورة الحجر: آية ٩.
- (٣) سورة النساء: آية ٤٦..
- (٤) الكافي - الكليني: ٥٣/٨.
- (٥) البيان في تفسير القرآن - السيد الخوئي: ١٩٧ - ١٩٨.
- (٦) ظ: رسالة الاعتقادات ، المطبوعة مع شرح الباب الحادي عشر - الشيخ الصدوق: ٩٣ + أوائل المقالات في المذاهب المختارات - الشيخ المفيد: ٥٥ - ٥٦ + مجمع البيان ، عن المسائل الطرابلسيات للسيد المرتضى - الشيخ الطبرسي: ١ / ١٥ + لتيان في تفسير القرآن - الشيخ الطوسي: ١ / ٣ ++الميزان في تفسير القرآن - محمد حسين الطباطبائي + البيان في تفسير القرآن - ابو القاسم الخوئي.
- (٧) ظ: التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف - علي الحسيني الميلاني: ١٥.
- (٨) ظ: جامع الأصول - ابن الأثير: ١١ / ٣٢٣.
- (٩) مجمع البيان: ٤٣/١.
- (١٠) ظ: الاقتصاد - الشيخ الطوسي: ١٠.
- (١١) ظ: رسائل الشريف المرتضى - الشريف المرتضى: ٢ / ٣٣٧ - ٣٣٨.
- (١٢) ظ: الاقتصاد - الشيخ الطوسي: ١٠.
- (١٣) مجمع البيان - الطوسي: ٤٣/١.
- (١٤) مناهل العرفان - الزرقاني: ١ / ٢٨٤.
- (١٥) ظ: التفسير الحديث - محمد عزة دروزة: ١٣٧. ج
- (١٦) مجمع البيان: ٢٨/١.
- (١٧) ظ: مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب: ١ / ٢٢٤.
- (١٨) الشريف الجرجاني - التعريفات: ١ / ٧٩.
- (١٩) ظ: الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني - عدي جواد الحجار: ٢١٣ - ٢١٤.
- (٢٠) ظ: الشبكة العنكبوتية: <http://ar.wikipedia.org/wiki>.
- (٢١) مجمع البيان - الطوسي: ٤٣/١.
- (٢٢) ظ: - البيان في تفسير القرآن - السيد الخوئي: ٤٣.
- (٢٣) مجمع البيان: ٤٣/١.
- (٢٤) م. ن.

- (٢٥) مجمع البيان: ٤٣/١.
- (٢٦) لسان الميزان ٤ : ٢٢٤.
- (٢٧) التبيان في تفسير القرآن ١ : ٣.
- (٢٨) ظ: الاقتصاد - الشيخ الطوسي : ١٠.
- المراجع والمصادر
- خير ما نبتدئ به القرآن الكريم
١. النص القرآني - عدي جواد الحجار.
- ط: الأولى - ٢٠١١ مركز الغدير للدراسات والنشر بيروت الأسس المنهجية في تفسير
٢. الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد
- أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي.
- منشورات مكتبة جامع چهلستون - طهران - مطبعة الخيام - قم - ١٤٠٠ هـ
٣. البيان في تفسير القرآن - أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٤١٣ هـ).
- منشورات دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الرابعة بيروت - لبنان ١٣٩٥ هـ.
٤. التبيان في تفسير القرآن - الطوسي محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ).
- تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي - منشورات دار إحياء التراث العربي.
- الطبعة الأولى. بيروت. لبنان. ١٤٠٩ هـ.
٥. التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف - السيد علي الحسيني الميلاني
- ط: الثانية - ١٤١٧ هـ - قم .
٦. التعريفات - الشريف الجرجاني: علي بن محمد بن علي الحسيني (ت ٨١٦ هـ).
- تحقيق: الأستاذ فلوغل - مطبعة الاستانة - ١٣٠٧ هـ.
٧. جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ - مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى : ٦٠٦ هـ) -
- تحقيق : عبد القادر الأرنبوط - الطبعة : الأولى
٨. رسائل الشريف المرتضى - الشريف المرتضى :
- تحقيق مهدي الرجائي - منشورات دار القرآن الكريم - قم - ١٤٠٥ هـ.

٩. الكافي - الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٩ هـ).
تحقيق: علي أكبر الغفاري - دار الكتب الإسلامية - ط: ١ - طهران.
١٠. لسان الميزان - شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هجرية
منشورات: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان - الطبعة الثانية - ١٩٧١ م .
١١. مجمع البيان - الطبرسي علي الفضل بن الحسن (ت ٥٦٠ هـ).
تحقيق لجنة من العلماء والمحققين - منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.
١٢. مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب محمد بن علي أبو عبد الله (ت ٥٨٨ هـ).
تحقيق: تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف - مطبعة: الحيدرية - النجف الأشرف - ١٩٥٦
١٣. مناهل العرفان في علوم القرآن - محمد عبد العظيم الزرقاني
الناشر: دار الفكر - بيروت - الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ - تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.